

حصار وحصار ... إلى زوال

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه، أما بعد،،،

فقد جاء رسول الله ﷺ بالهدى ودين الحق، ولكن قريش كذبتة وناصبته العدا، وترصدته في كل طريق لتصد الناس عنه، وعن رسالته التي جاء بها رحمة للعالمين، وكان من عدائهم ذلك الحصار الجائر الظالم؛ الذي طاله ومن معه من المؤمنين، وحتى أقاربه الذين ناصروه حميَّة، وقد كان ذلك في شهر المحرم من العام السابع للبعثة الشريفة، وحتى المحرم من العام العاشر، وقد نصت بنود وثيقة الحصار على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، ولا يدعو سبياً من أسباب الرزق يصل إليهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً، ولا تأخذهم بهم رافة، ولا يخالطوهم، ولا يجالسوهم، ولا يكلموهم، ولا يدخلوا بيوتهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، ثم تعاهدوا وتواتقوا على ذلك، وقد علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق، حتى اضطروا إلى أكل ورق الشجر، إلى حد أن أحدهم يخرج ليبول فيسمع بقعقة شيء تحته، فإذا هي قطعة من جلد بعير فيأخذها فيغسلها، ثم يحرقها ثم يسحقها، ثم يشرب عليها الماء فيتقوى بها أياماً، حتى قيض الله سبحانه لنقض الصحيفة أناساً من أشرف قريش، إذ قام المُطعم بن عدي إلى الصحيفة وهي معلقة في الكعبة ليشقها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا (باسمك اللهم)، قال تعالى: ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

وأمام ذكرى الحصار الظالم للنبي ﷺ ومن معه في شعب أبي طالب، وإزاء حصار غزة الجائر؛ التي بدت ملامح كسره تملأ الآفاق؛ لا سيما بعد نصر شعبنا المؤزر في معركة حجارة السجيل؛ **نقف على بعض العبر والعظات، ومنها:**

١ جيان عظيم صبر النبي ﷺ، على ما لقيه من الآلام من قبل أعداء الله تعالى، فهم لم يتركوا سبيلاً للعداء إلا سلكوه، حتى كان هذا الحصار الظالم؛ فلم يفت في عضد النبي ﷺ، ولم يوهن من عزمته لمواصلة الدعوة إلى الله تعالى.

٢ بالرغم من عظم محنة الحصار إلا أنها كانت زاداً عظيماً للجبل المؤمن في البناء والتربية، حيث ساهم بعضه في تحمل آلام الجوع والخوف، والصبر على الابتلاء، وفي ظل مرارة الحصار وقسوته كانوا يخرجون في مواسم الحج لدعوة الحجيج إلى دين الله تعالى.

٣ كانت قسوة الحصار سبباً في خدمة الدعوة والدعاية لها بين قبائل العرب، فقد لفتت أنظار الجزيرة العربية إلى هذه الدعوة التي يتحمل صاحبها وأصحابه الجوع والعطش والعزلة لكل هذا الوقت، أثار ذلك في نفوسهم أن هذه الدعوة حق، ولولا ذلك لما تحمل صاحب الرسالة وأصحابه كل هذا الأذى والعذاب، وهذا ما نلمسه اليوم من التعاطف الكبير في الكثير من دول العالم مع قطاع غزة رفضاً لحصاره الجائر، وتعاطفاً مع أهله المظلومين.

٤ إبراز العاقبة الحتمية للصابرين على الألم، الثابتين على المبادئ، المتمسكين بدينهم، المتوكلين على ربهم، المُعدِّين من القوة ما استطاعوا للقاء عدوهم، فإن لهم من الله تعالى تفريح الكروب، ولهم النصر على أعدائهم، وما معركة حجارة السجيل التي أعز الله تعالى فيها شعبنا رغم مرارة الحصار إلا خير دليل.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].